ماذا يحدث في أول يوم بعد رحيل استعمار دام 150 عاماً؟لعل الإجابة عن هذا التساؤل تشكل مدخلاً لفهم الكثير مما يحدث اليوم في وطننا العربي، حيث رحل الاستعمار عن أغلب الدول العربية في النصف الثاني من القرن العشرين بعد حراكات ونضالات وطنية طالبت برحيله، لتستفيد الشعوب من ثروات بلادها التي ُحرمت منها لفترات وليصبح لها الحق في تقرير مصيرها التنموي.لم تكن الصورة دائماً وردية بعد رحيل الاستعمار. فالدول بعد الاستعمار تزدهر بالإدارة الجيدة للاقتصاد، وبالإدارة الجيدة للخدمات الأساسية للشعب، وبالعلاقات الجيدة مع جيرانها، وأيضاً بالإدارة الحكيمة للنزاعات الحدودية التي تركها المستعمر بين بلداننا كقنابل موقوتة. الإدارة الجيدة أوصلت بعض الشعوب إلى القمة، والإدارة السيئة انحدرت بشعوبنلوم في الكثير من الأحيان المستعمر على تراجعاتنا التنموية، وحتى على تدهورنا الثقافي والعلمي. والحق أن اللوم يقع علينا نحن الذين تص ّدينا لإدارة الحكومات بعد رحيلكنت موجوداً عندما رحل آخر الجنود البريطانيين من قاعدة سلاح الجو الملكي بالشارقة. رحل الاستعمار بعد 150 عاماً من تواجده الثقيل في منطقتنا التي لم يأبه باحتياجات سكانها التنموية. كن ُت مسؤولاً عن استلام تركته العسكرية ومهامه الدفاعية. تعالت صيحات جنودي فرحاً وفخراً. أحسس ُت بالحرية الكاملة في ذلك اليوم؛ الحرية الكاملة في إدارة شؤون بلادنا الداخلية والخارجية،كنت أتن ّقل كثيراً بين الإمارات المختلفة كجزء من مهمتي الأساسية في بناء قوة دفاع اتحادية. كانت الأوضاع سيئة بالنسبة لعدد كبير من مواطنينا، وخصوصاً أولئك ممن يعيشون في الإمارات ذات الموارد الأقل. كان الناس يضطرون لشرب المياه غير النظيفة من الآبار، مما أدى إلى ارتفاعمعدلاتالوفياتبينالأطفال.لميكنلدينا عددكا فمنالمدارس والمستشفيات. لم نكن نمتلك شبكة طرق جيدة تربط بين إماراتنا.ننظر إلى المياه النظيفة والكهرباء كنوع من الكماليات والترف.عندما أعلنا الاتحاد سرت رو ٌح جديدة بين المواطنين، روح متط ِلّعة للمستقبل بأمل جديد. كان شعبنا يتطل ّع للراحة بعد التعب،خلاصاً من سنين طويلة من الشقاء. أثناء جولاتي اليومية بين المراكز العسكرية المختلفة في أنحاء الإمارات،كن ُت حريصاً على لقاء العديد من العائلات والجلوس معها. وكن ُت أوزّعها على تلك العائلات. كن ُت أدخل البيوت وأرى بعيني أن أمامنا طريقاً طويلاً لتغيير حياة الناس للأفضل. ولع ّل زياراتي المتكررة لتلك العائلات جعلتني حريصاً جداً في طلب ميزانية الدفاع والتسليح التي كنت أحتاج إليها. كنت أرى حاج ًة ماسة لبناء مدارس وعيادات وطرق ومساكن، وكان الشيخ زايد والشيخ راشد يع ّدلان على ميزانية الدفاع أحياناً بالزيادة لمعرفتهما بأنني كن ُت أقتصد لتوفير الميزانية الاتحادية للمشاريع التنموية التي كانا يشرفان عليها ويتابعانها بنفسيهما. كان زايد وراشد يريان ما أرى، ويعرفان احتياجات المواطنين أكثر مني، لذلك تركا لي معركة بناء قوةلا يمكن لأ ّي دولة أن تنظر إلى قوتها العسكرية على أنها أهم من رفاهية شعبها وراحته. قد يبدو قولي هذا غريباً بصفتي وزيراً للدفاع، ستصبح مسؤولي ُة الجيش الدفاع عن مجموعة من المواطنين التعساء والأراضي الجرداء.إن السرّ وراء عظمة أ ّي دولة ليس في نفوذها العسكري، أنظر اليوم إلى دولة مثل كوريا الشمالية تتحدى العالم بقوتها العسكرية، فقير حد الجوع أحياناً. وأنظر إلى دولة مثل كوريا الجنوبية أو اليابان، لكن اقتصادهما يجعلهما في مصاف الدول الكبرى التي تسعى جميع الدول إلى إقامة علاقاتحبانا الله بحكمة القادة المؤسسين في بداية الاتحاد لنوازن بين إنفاقنا العسكري وبين ميزانياتنا التنموية، ونوازن بين معاركنا الداخلية في البناء، ومعاركنا الخارجية لتحسين العلاقات وتجنب الأزمات،بشكل مثالي بين رفع العمران وبين بناء الإنسان.اليوم التالي لرحيل المستعمر هو اليوم الذي تح ّدد فيه معركتك التالية. بعض الدول اختارت المعركة الخطأ، ورحمنا الله بزايد وراشد ليختارا المعركة الصحيحة.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي